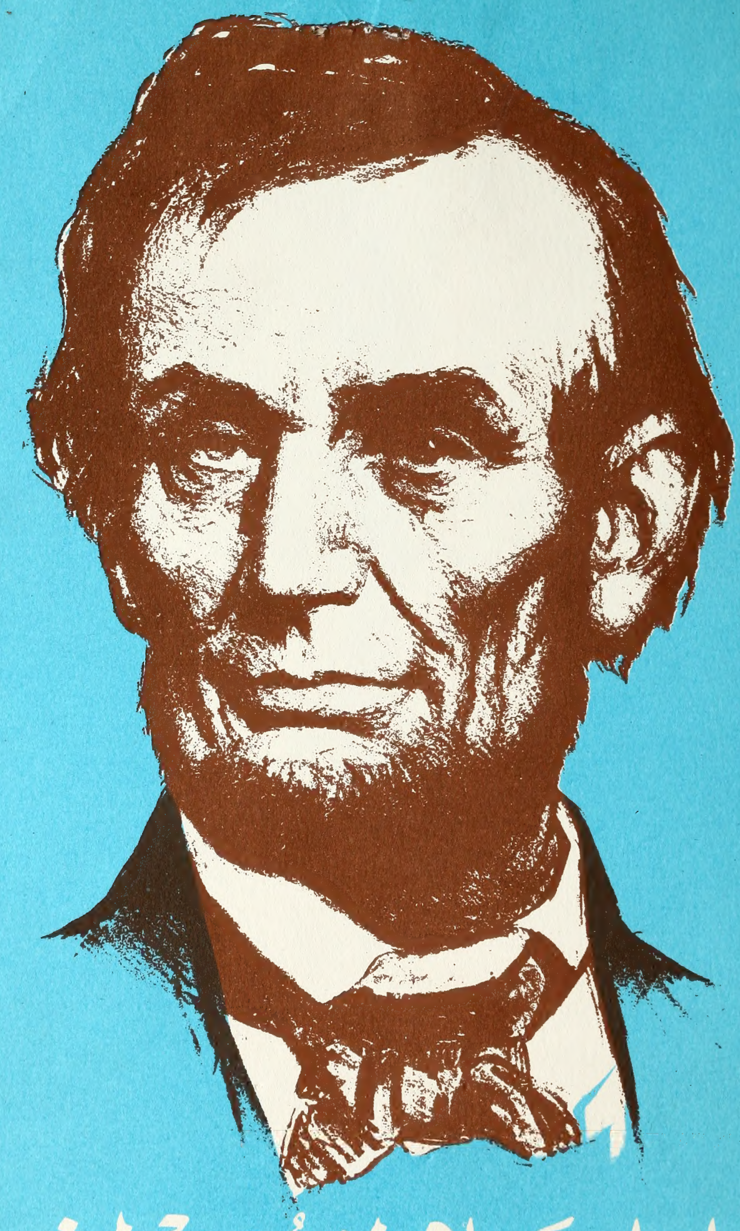


ابراهام لنكولن



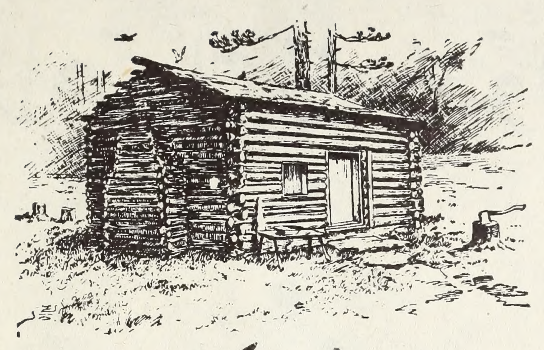
كان نصيب ابراهام لنكولن من المدارس الرسمية ضئيلاً جداً،فقد كان هو معلم نفسه ، واستطاع ان يغذي رغبته الملحة في تحصيل العلم والمعرفة بالمطالعة ، فقرأ كل ما وصل اليه من كتب ، وهذه الصورة الفنية للنكولن الصغير تمثله وهو يطالع في كتابه على نور المدفئة في كوخه الخشبي .

ابراهام لنكولن

هذه الفصول مقتبسة عن كتيّب نشره « جون هانكوك » شركة التأمين على الحياة — بوسطن (مساتشوستس).



توزيع دائرة المعلومات الاميركية



ابراهام لنكولن

« ابصر النور في كوخ خشبي وضيع ، ثم تسلق مراتب المجد مرتبة مرتبة، حتى بلغ القمة واستقر في البيت الابيض وحقق لبلاده وامته الخير الكثير. لم يتعلم سوى القليل ، فايامه في المدرسة كانت معدودة بحيث لم تبلغ في مجموعها العام الواحد ، ومع ذلك فقد اصبح خطيباً عظيماً ، وكاتباً بارعاً .

قست الحياة على ابراهام لنكولن في طفولته ، وفي فتوته ، وفي شبابه ، وعانى الواناً من الفشل والخيبة والهزيمة ، ولكنه لم ييأس ، ولم يفتر ، وتغلب عليها كلها ، واستطاع ان يكون رجل دولة من الطراز الاول، بل من رجال الدولة القلائل في التاريخ الذين محضهم الشعب كل ولائه ، وحبه واحترامه .

هكذا تبدأ سيرة الرجل العظيم ابراهام لنكولن .

ولد لنكولن في اليوم الثاني عشر من شهر شباط ـ فبراير ـ عام ١٨٠٩، في كوخ وضيع داخل مزرعة صغيرة في غابات كنتكي، المعروفة الآن بلاروكاونتي. وقد اقامت الحكومة الاميركية في الآونة الاخيرة اثراً تذكارياً حول المكان نفسه للمحافظة على مسقط رأس الرجل العظيم بل احد رجالات اميركا الاخيار .

والمعروف عن والد لنكولن ، توماس ، انه كان امياً لا يكتب ولا يقرأ ، فاتر الحركة ، يعوزه الطموح والاندفاع نحو العمل، بحيث عجز عن توفير القوت الضروري لعائلته ، فعاشت عيشة الشظف والضيق .

اما امه ، نانسي هانكس لنكولن ، فقد اشتهرت بالوداعة ، ورقة الخلق والتقى ، ولم تكن بنيتها الضعيفة لتسمح لها بتحمل الحياة القاسية المضنية . وفي سنة ١٨١٦ ، وبعد اقامة متنقلة في اماكن مختلفة ، نزحت اسرة لنكولن الى انديانا ، وسلكت طريقاً موحشة تمتد الى مسافة مائة ميل داخل الغابات ، واختارت لسكناها « سقيفة » مثلثة الجوانب صنع بابها من جلد الجاموس ، كان يقيها برد الشتاء القارس .

وبعد مضي قرابة العام ، كان العمل قد انتهى من بناء الكوخ الا ارضه التي ظلت تراباً ، فانتقلت اليه الاسرة ، وفي غضون ذلك توفيت امه التي كتب عنها ابراهام لنكولن يقول :

« انني مدين لأمي القديسة بكل ما صرت اليه وما ارجو ان أكون » .

نشأته وتربيته

ذهب لنكولن الى المدرسة في فترات متقطعة — كما ذكر هو — خلال تسعة اعوام ولكن مجموع هذه الفترات لم يتجاوز العام الدراسي الواحد ، فقد علّم نفسه القراءة والكتابة ، واستعاض عن القلم والورقة — لعدم وجودهما — بمجرفة خشبية وقطعة من الفحم ، ولمّا توفر الورق لديه عمد الى استنساخ فروضه بقلم صنعه من ريش الديك الهندي ، وحبر اعتصره من جذور العليق الأسود .

وكانت تترتب على لنكولن الفتى في ذلك الحين مسؤوليات كثيرة ، فهو مكلّف بمساعدة ابيه في اعماله المرهقة ، وقطع الأشجار في الغابة ، وحراثة الأرض ، وزراعة القمح وحصاده ، بالاضافة الى المهمات الاخرى نحو جيرانه المزارعين ، وبالرغم من هذا كله ، فقد كان يجد لديه دائماً متسعاً من الوقت ليقرأ كل كتاب تصل اليه يداه ، وكان يسير أحياناً اميالاً ليجد من يقرضه كتاباً ، ومما رواه يومئذٍ لأحد اصدقائه انه قرأ كل كتاب سمع عنه او عثر عليه ، في نطاق دائرة من الارض قطرها خمسون ميلاً .

والمأثور عن لنكولن انه من الأشخاص الذين وهبوا ذكاء فطرياً متوقداً ، وطلاقة

لسان ، وقدرة مدهشة على رواية القصص والنوادر . وهذه المزايا قد حببت اليه الناس ، وجعلته يتمتع بشعبية كبيرة في محيط الريف وبين عمال البناء والحصادين الذين كانوا يطربون بمجلسه وحكاياته .

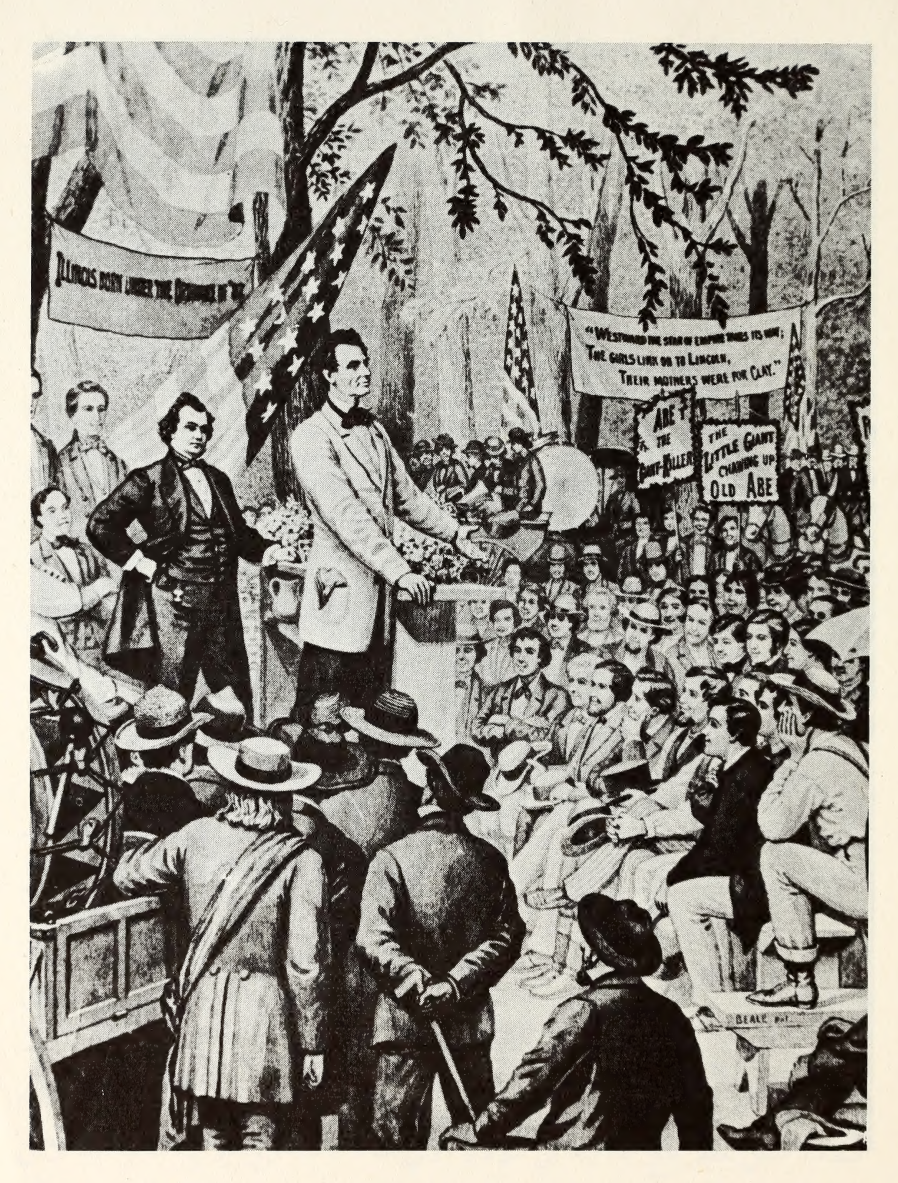
وهذه الموهبة الطبيعية في تنميق الأحاديث يضاف اليها حبه للعدل وعطفه على المظلومين ، جعلته يفكّر في احتراف المحاماة ، ولما كان لا يملك اياً من كتب القانون او مالاً لاقتنائها ، فكان يضطر للسير مسافة اثني عشر ميلاً في سبيل الوصول الى مكتب احد معارفه وقراءة كتاب من كتب القانون في انديانا .

وفي سن التاسعة عشرة بدا لنكولن عملاقاً — ستة اقدام وثلث القدم — وكانت ذراعاه وساقاه مفرطة في الطول ، ويداه وقدماه بالغة في الضخامة ، وكانت قوته تعادل قوة ثلاثة رجال ، واشتهر بالجري والمصارعة بحيث لم يجرؤ احد على منافسته او التغلب عليه في الريف كله .

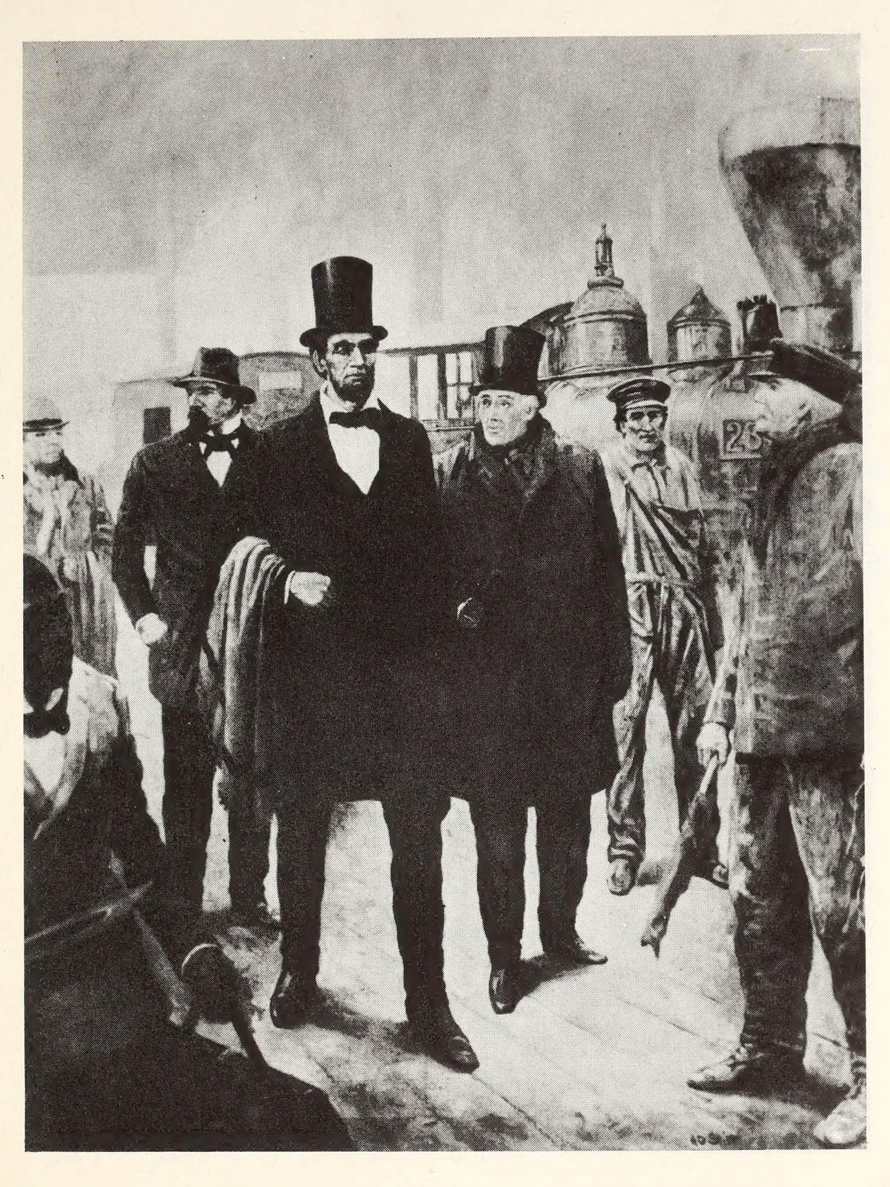
في مياه المسيسبي

وفي تلك السنة ١٨٢٨ ، ولنكولن دون العشرين ، عهد اليه جاره بقارب منبسط ليعبر عليه نهر المسيسبي الى نيو اورليان — وتقدر المسافة بألف وثمانمائة ميل — لبيع الخضار واللحم المقدد لمزارعي القطن هناك . وبعد عامين انتقلت الاسرة على عربة تجرها الثيران الى « ايلينوى » حيث بنت لها كوخاً خشبياً عاشت فيه . وكان ابراهام يومئذ يجمع القضبان ويسويها ليسيج بها فدادين الارض . وعند حلول الشتاء صنع الفاً واربعمائة قضيب تقاضتها امرأة قروية ثمن زوجين من السراويل اوصاها لنكولن عليهما ، وقد لقب يومئذ بـ « شقاق القضبان » ورافقته هذه التسمية الى حين ترشيحه للرئاسة .

وقام لنكولن فيما بعد برحلة ثانية الى نيواورليان على قاربه المنبسط ، وأبصر لاول مرة الزنوج مكبلين بالسلاسل يباعون كالسلع في اسواق المزاد العلني ، ويقال ان مشهد هؤلاء العبيد آلمه كثيراً وحزّ في نفسه ، فعاهد نفسه منذ تلك اللحظة على



في ولاية ايلينوي، سنة ١٨٥٨، وقف ابراهام لنكولن خطيباً في سلسلة من المناظرات دارت بينه وبين منافسه في عضوية مجلس الشيوخ ستيفن ا. دوغلاس – ويظهر واقفاً خلفه – ومن حولها جماهير الاهلين .



ابراهام لنكولن، ساعة وصوله الى محطة وشنطن في الثالث والعشرين من شهر فبراير (شباط) قادماً من بلدته سبرنغفيلد - ايلينوي - لتسلم مهام الرئاسة.

وقد احتفل بتنصيب لنكولن رئيساً للولايات المتحدة في الرابع من مارس (آذار) عام ١٨٦١.

مكافحة الرقيق بكل قواه ، وكلما سنحت له الفرص . ولم يكن يحلم لنكولن اذ ذاك ان التاريخ سيخلد اسمه كمحرر عظيم لهؤلاء البائسين .

الحرب والسياسة والتجارة

وعلى اثر عودة لنكولن من رحلته الثانية الى نيو اورليان قصد الى نيوسالم في ايلينوى واستقر فيها وامضى بضع سنوات يتعاطى اعمالاً مختلفة ، ثم استخدم في احد مخازن « دنتون اوفوت » ، وكان يقضي اوقات فراغه في تعلم الصرف والنحو بكتاب كيرهام ، فلا يكاد يلمحه ابناء القرية مستلقياً على كرسيه وقدماه ممتدتان على صندوق الحسابات ورأسه مسند الى رزمة القطن الخام ، حتى يتجمهروا من حوله كي يقص عليهم نوادره وحكاياته باسلوبه الطريف الجذاب . وهناك اطلق عليه لقب « الراهب الشريف »، اذ قيل انه سار ميلين على قدميه لاعادة ستة سنتات نتيجة خطإٍ في الحساب. ولكن في غضون عام واحد افلس المحل الذي كان مستخدماً فيه ، وخرج لنكولن في الثانية والعشرين من العمر ليواجه البطالة من جديد .

وابان حرب الصقر الاسود، اختاره المتطوعون في « نيو سالم » قائداً لهم، وانتهت الحرب قبل ان يقوم بعمل يذكر .

ولنكولن الطموح لخوض ميدان السياسة ، اعلن عن عزمه على ترشيح نفسه لانتخابات المجلس التشريعي في الولاية ، وكان ذلك في ربيع عام ١٨٣٢ ، ولكنه لم ينجح رغم كل اصوات الجوار التي حصل عليها .

وعاد ثانية الى التجارة ، فابتاع بشراكة صديقه بيري ثلاثة حوانيت صغيرة في نيو سالم وحوّلها الى مخزن واحد ملأه بالسلع التي كان يشتريها بالدين... ولكن الحظ ظل في عبوسه ... واشتدت الازمة وساءت الحال ، فاضطر لنكولن وشريكه لتصفية المحل بعجز بلغ الفاً ومائتي دولار ، وفي هذه الاثناء توفي بيري ، فتعهد لنكولن بالدين كله ، مع انه كان بامكانه الخلاص منه لو اعلن افلاسه ، ولكنه لم يفعل ، وآثر

تسديد الدين بكامله بكده وجده وتوفيره ، واستغرق ذلك خمس عشرة سنة .

ودعي لنكولن بعد ذلك بقليل ، ليشغل وظيفة مساعد مساح في مكتب « جون كالهون » مساح الناحية ، ثم عين مديراً محلياً لشعبة البريد ، وبالنظر لضعف الحركة في المنطقة وقلة الرسائل جعل من قبعته مكتباً وراح يطوف بها القرية ويوزع منها البريد.

في مجلس الولاية التشريعي

كان لنكولن على وشك القاء خطبته في الحملة الانتخابية الثانية للمجلس التشريعي في ايلينوى ، عام ١٨٣٤ ، عندما صاح احد المستمعين وهو ينظر الى لنكولن ، قائلًا :

« اليس لدى الحزب افضل من هذه البضاعة ؟ »

ولكن هذا التساؤل الساخر لم يبق بدون جواب... فقد تكلم لنكولن ، والقى خطبة من خطبه الرائعة ، اجاد فيها الى حد الابداع ، وملك على المستمعين لبهم ، وما كاد ينتهي منها حتى وقف ذلك المتسائل نفسه وقال :

« ان لنكولن لهو اعلم من كل المرشحين الآخرين مجتمعين . » وفي هذه المرة انتخب ابراهام لنكولن ، واعيد انتخابه فيما بعد خلال ثلاث دورات متعاقبة .

وذهب لنكولن الى « فانداليا » التي اصبحت فيما بعد عاصمة الولاية ، مرتدياً بذلة جديدة ابتاعها بمبلغ من المال اقترضه من صديق له ، وهناك التقى بستيفن ا. دوغلاس الذي كان منافسه الاكبر في مصالح كثيرة .

وفي عام ١٨٣٦ ، ولنكولن في السابعة والعشرين ، رخص له بتعاطي المحاماة ، فقصد الى « سبرينغفيلد » ، العاصمة الجديدة للولاية ، للاقامة فيها .

وذات صباح امتطى جواد صديق له وفي جيبه قليل من المال وقصد الى حانوت احد معارفه ، ويدعى مستر سبيد ، وسأله اذا كان يستطيع شراء سرير له بالدين ، وتعهد بتسديد ثمنه حوالى عيد الميلاد ، عندما يكون عمله في المحاماة بدأ يعطي ثماره ، واردف لنكولن يقول :

« واذا لم انجح فلا ادري متى سيكون في مقدوري تسديد هذا الدين » .

وهنا اقترح عليه صديقه سبيد ان يأتي الى غرفته فوق الحانوت ويقاسمه سريره العريض، فاسرع لنكولن يجمع امتعته،وحملها الى غرفة صديقه وعاد فرحاً الى سبيد يقول : « تم كل شيء وانتقلت الى غرفتك » .

وفي مجلس الولاية التشريعي بدأت مواهب لنكولن كرجل دولة حكيم وقوي، تنمو وتبرز ، فقد عاش في صميم الشعب ، وآمن بان حكم الشعب هو ارشد دليل الى الحق والصواب في الشؤون العامة ، ولذلك كان همه الترفيه عن الشعب ، بتحقيق المشروعات الحيوية للولاية ، فسعى بكل قواه ليظفر لها بسكك حديدية ، واقنية ومصارف .

وخلال الاعوام الثمانية التي قضاها في سبرينغفيلد كان يمارس اعمال المحاماة ، بالاضافة الى مهام عضوية المجلس التشريعي . وقد طارت شهرته كمحام، واعجب به كل من رآه يرافق قاضي المنطقة متنقلاً من محكمة الى اخرى في الولاية .

وفي سنة ١٨٤٣ اشترك لنكولن مع زميله ويليام هيرندون في مكتب للمحاماة. فاوضح له عند مباشرته العمل انه لن يتولى الدفاع الا في القضايا التي يعتقد بانها صحيحة وعادلة . ومما يذكر بهذا الصدد ، انه تخلى مرة عن الدفاع في احدى القضايا في منتصف الشهادة اذ ادرك ان الجانب الذي يمثله ليس على حق في دعواه . والمأثور عنه انه كان من عادته ، اثناء المرافعات ، الاستشهاد بحوادث ونوادر تشيع المرح في جو المحكمة وتلقي في الوقت نفسه نوراً على النواحي الغامضة في القضية التي يتولى الدفاع فيها ، مما جعله من اشهر المحامين واقدرهم في الولاية .

واحبت لنكولن وهو في ميعة صباه فتاة تدعى آن روتيلدج، فبادلها الحب وكان مخلصاً لها ، ولكن القدر القاسي ما لبث ان انتزعها من قلبه اذ ماتت وهي في زهرة العمر، فكان حزنه عليها موجعاً قاسياً ، وخشي اصدقاؤه ان يصاب لنكولن بالجنون لهول وقع الفاجعة عليه .

وبعد سنوات احب لنكولن ودوغلاس ، معاً ، امرأة حسناء من كنتكي تدعى ماري تود ، وبلغ التنافس بينهما اشده للفوز بقلبها ويدهـا . فكان الظفر في جانب لنكولن واقترن بمعبودتـه في اليوم الرابع من شهر تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ عام ١٨٤٢ ، وقد انجبت له ماري اربعة اولاد ، كلهم ذكور ، احدهم روبرت ت. لنكولن الذي عين اخيراً سفيراً للولايات المتحدة في بريطانيا .

لنكولن والرقيق

وعندما شغل لنكولن مقعده في مجلس النواب الاميركي لمدة سنتين كانت قضية الرقيق تطغي على جميـع القضايا الاخرى السياسية والوطنية ، وقد قال لنكولن مرة اثناء مناقشة موضوع الرقيق :

« اذا نحن لم نعتبر الرقيق شراً ، فليست في العالم شرور اذن » .

وفي الواقع كرس لنكولن كل وقتـه وجهده ، اثناء نيابته ، لمـكافحة الرقيق وتحريمه ، وكان يدافع عن مشروعه الذي اعده لابعاد تجارة الرقيق عن المنطقة كلهـا ، من تكساس حتى الاوريغون ، دفاعاً مستمراً مجيداً . وبلغ عدد المرات التي صوت فيها لمصلحة المشروع زهاء الاربعين ، ولكن بدون جدوى ، وحاول كذلك استصدار قانون لتحرير العبيد في اقليم كولومبيا فلم يفلح .

وجـاء موعد الانتخابات للمجلس الجديد ، فاعاد لنكولن ترشيحه ، كي يحتفظ بمقعده القديم ، ولكن منافسيه في هـذه المرة كانوا كثراً ، ففشل ، وكان لا بد له من العودة الى المحاماة .

وفي هذه البرهة ، كان لنكولن شديد الحاجة للمال من اجل اعالة اسرته ومساعدة ابيه وزوجة ابيه وابنها ، ومات ابوه بعد فترة من الزمن مخلفاً وراءه الديون ، فاضطر لنكولن لتسديدها وفك البيت المرهون .

وبدا لنكولن المحامي ناشط الهمة ، شديد الطموح للعمل وكسب المال ، فكان

يطوف البلدة متدثراً بشلحة رمادية اللون تلف كتفيه، وتحت ابطه محفظة اوراقه صنعت من نسيج البسط، وفي يده مظلة قطنية خضراء، استعيض عن مقبضها بفتلة احكم ربطها.

وفي عام ١٨٥٤ اقرّ مجلس الكونغرس مشروع قانون قدمه النائب دوغلاس يخول ولايتي كنساس ونبراسكا، عند انضمامهما الى الاتحاد، حق ابقاء الرقيق في اراضيهما او تحريمه، فأدرك سكان الشمال ان القانون الجديد فتح امام الرقيق ابواب المقاطعات الشمالية الغربية.

وفي تلك الاثناء برز الحزب الجمهوري الى الوجود، وكان ابراهام لنكولن من مؤسسيه، وفي اول مؤتمر وطني عقده الحزب في فلادلفيا سنة ١٨٥٦، تردد اسم لنكولن كمرشح لنيابة رئاسة الجمهورية، ولكن شيئاً من ذلك لم يتم.

وعاد منافسه ستيفن ا. دوغلاس الى ايلينوى لاستئناف دفاعه عن مشروعه القديم الذي قدمه الى الكونغرس بشأن مصير مقاطعتي نبراسكا و كنساس، فتولى لنكولن الرد عليه بخطاب رائع جامع، استغرق القاؤه ثلاث ساعات ومهد له الطريق لكي يصبح بطل قضية الحرية الانسانية الكبرى.

وفي عام ١٨٥٨ رشح الديموقراطيون في ايلينوى دوغلاس لعضوية مجلس الشيوخ، بينما اعلن الجمهوريون ان مرشحهم الوحيد هو ابراهام لنكولن، واحتشدت على الاثر جماهير الاهلين في ارض مركز الولاية وشرفاتها في سبرينغفيلد لسماع بيان لنكولن بقبوله الترشيح، فكانت كلماته تنساب الى آذان المستمعين عامرة بالوجدان والحقيقة والعدالة، ومما قاله:

«لن تقوم قائمة لبيت منقسم على نفسه، وفي يقيني ان هذه الحكومة لا يمكن ان تعيش طويلاً ما دام نصفها ارقاء، ونصفها الآخر احراراً».

وتحدى لنكولن منافسه دوغلاس، اذا كان يستطيع مواجهته في سلسلة مناظرات، وقبل دوغلاس هذا التحدي، وأُعدت سبع مناظرات جاء الناس لسماعها من كل صوب.

لقد كانت حجج دوغلاس متدفقة سلسة وبارعة ، بينما تميزت حجج لنكولن بالصراحة والرأي السديد ، والبساطة ، فكانت تنفذ الى قلوب الجماهير ، وتحتل سويداءها ، وكانت نبرات صوته وهو يتكلم كاللحن الجميل الغريب ، مما زاد في هيبته ووقاره وقوة تأثيره على الناس . وكانت حجة دوغلاس : «ان الناس احرار في ان يختاروا بين اقتناء العبيد او عدمه » . بينما اصر لنكولن على القول بانه : «ليس من حق اي انسان ان يكون سيد انسان آخر ، وان الرقيق شر واي شر يجب ازالته من معالم الوجود» .

ومع ان دوغلاس فاز بعضوية مجلس الشيوخ ، فان شرفاً اعظم كان ينتظر لنكولن ، شرف صيرورته رئيساً للولايات المتحدة .

لنكولن الرئيس

وبعد هذه المناظرات بينه وبين دوغلاس ، ذاعت شهرة لنكولن كخطيب مفوه ومفكر عظيم في كل مكان من البلاد ، فتوالت عليه الدعوات لالقاء المحاضرات ، وكتبت جريدة « نيويورك تريبيون » معلقة على خطبة القاها في معهد كوبر في نيويورك في شهر شباط – فبراير – عام ١٨٦٠ ، كتبت تقول :

« لم يسبق ان انساناً في نيويورك احدث مثل هذا التأثير في نفوس جمهور واجهه لاول مرة » . والخطاب طبع ونشر واقتبس منه الكثير في كل مكان ، وكان من اهم العوامل التي ضمنت له الرئاسة .

ولما اقترب موعد انتخابات الرئاسة في عام ١٨٦٠ قامت الخلافات بين الشمال والجنوب ، وفي السادس من تشرين الثاني – نوفمبر – فاز لنكولن بالرئاسة واصبح الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة .

وقبيل حلول شهر شباط – فبراير – من العام التالي اعلنت سبع ولايات في الجنوب انفصالها عن الاتحاد والفت اتحاداً مستقلاً ، وانتخبت جيفرسون ديفيس رئيساً عليها . وفي الرابع من آذار – مارس – اي بعد مضي زهاء الشهر ، القى لنكولن

خطابه الاول الذي دشن به عهد الرئاسة ، وقال فيه :

« ان اتحاد هذه الولايات، الولايات المتحدة، هو اتحاد دائم وليس لاية ولاية الحق في الانسحاب منه لمجرد ارادتها » .

وقال في مناسبة اخرى :

« لقد اولتني البلاد قيادة السفينة وساحاول ذلك » ، ولكن الكثيرين ممن كانوا يستمعون اليه في تلك اللحظة ، لم يطمئنوا وشرعوا في هز رؤوسهم متسائلين بشيء من السخرية والشك اذا كان هذا «الخطاب» المتأخر قادراً حقاً على قيادة السفينة!!. وسرعان ما اجابت الايام على تساؤلهم ، فان لنكولن الرجل الحازم ، الأبيّ ، الطيب ، استطاع بكياسته وحسن تصرفه ودأبه واخلاصه ان يبدد شكوك المرتابين في مقدرته وان يقود شعبه في ظروف قاسية وازمات صعبة ، الى ما كان يصبو اليه ، وبرهن على انه احب رجل دولة ، واحب شخصية شعبية في اميركا . فقد اخلص لنكولن للشعب واحبه ، فمحضه الشعب ثقته والتف حوله .

ولم تبدل الرئاسة شيئاً من عادات لنكولن ومن اسلوبه في مخاطبة الناس ، وطالما الح عليه وزراؤه من اجل تحسين اسلوبه الكتابي في الرسائل الرسمية والبيانات ، ولكنه ابى الا ان يحافظ على ذلك الاسلوب الخاص والبسيط ، وكان يقول :

« ان الشعب يفهمني و كفى » .

بداية الحرب الاهلية

وفي غضون هذه الفترة انضمت ولايات فيرجينيا وار كنساس وتينيسي وكارولينا الشمالية الى الاتحاد الجنوبي ، وفي الثاني عشر من نيسان ـ ابريل ـ ١٨٦١ بدأ الاتحاد حربه الاهلية بان اطلق النار على علم الاتحاد الشمالي المنصوب فوق قلعة « سمتر » في كارولينا الجنوبية ، ولما كان لنكولن قد اوضح منذ البداية ان الحرب هي في سبيل الاتحاد وليس ضد الرقيق ، فقد استنفر ٧٥ الف متطوع لحمل السلاح وعين جورج

ب. ماك ليلان قائداً لجيش الشمال .

وبعد شهرين من الزمن نشبت معركة «بول ران» فكانت بداية القتال ، وتغلبت قوات الجنوب فتلقى الشماليون انباء هذه الانتصارات المباغتة بوجوم، وراح الجنرال ماك ليلان ينظم جيشه ويدربه ، وتطلب ذلك شهوراً لم يقم خلالها بأية محاولة ضد الجنوبيين. وكان على الجنرال غرانت الآن ان يسجل اول انتصارات الجيش الشمالي فاستولى في مطلع شتاء ١٨٦٢ على قلعتي هنري ودونلسون ، وانتهى الأمر بأن عزل الرئيس لنكولن الجنرال ماك ليلان وعين غرانت قائداً عاماً للقوات الشمالية .

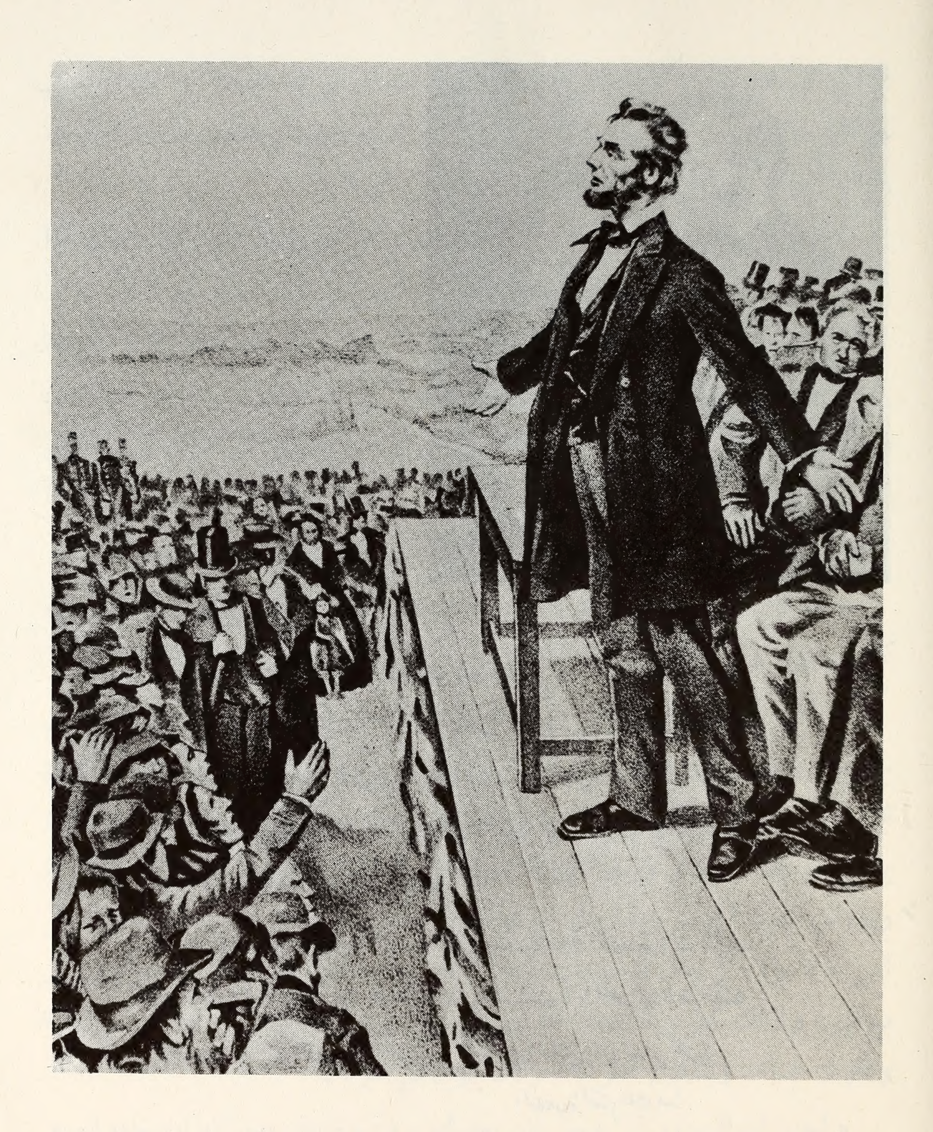
وفي هذه المرة ايضاً لم يكن التوفيق حليف الشماليين، فقد توالت الهزائم والانكسارات والحرب في اوجها ، وحدث في هذه الاثناء ان فجع الرئيس لنكولن بنجله الصغير ويللي ، الأمر الذي ضاعف من عطف الرئيس على المصابين وذوي الضحايا ، فكان دائماً يتفقد المعسكرات والمستشفيات والمعتقلات ، ويتحدث الى الضباط والجنود ، ويثني عليهم ويطري شجاعتهم ويكبر تضحياتهم .

ويقول المقربون من لنكولن ان الكتاب المقدس كان طيلة أيام تلك الحرب على منضدته يطالع فيه ، وانه كثيراً ما قضى الليل بطوله في الصلاة .

الحرية للارقاء

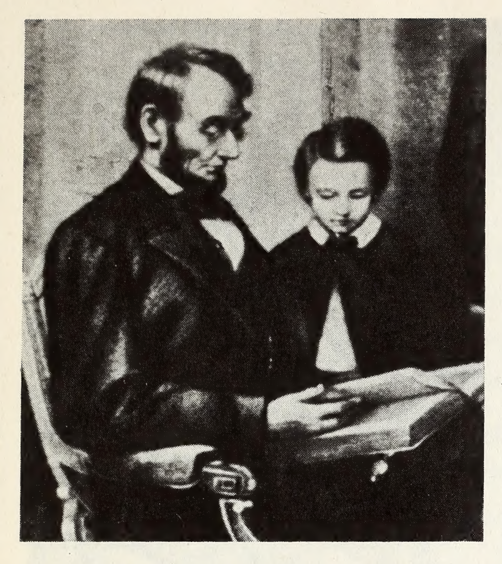
لقد كانت غاية لنكولن الاولى من الحرب انقاذ الاتحاد ، ولكنه وجد في عام ١٨٦٢ ان الغاء الرقيق يجب ان يكون هدفه الثاني ، فشرعت الالوف من العبيد في الهرب الى الشمال. وفي شهر تموز سن المجلس قانوناً يسمح لهؤلاء الفارين بالالتحاق بقوات الجيش الشمالي واعتبارهم هم وعائلاتهم احراراً .

وكان من رأي لنكولن في بادىء الامر ان تتم عملية التحرير تدريجياً ، وان تعوض الحكومة على مالكيهم بالمال ، ولكن الجنوب رفض الفكرة ، فعمد عندئذ لنكولن الى طريقته الخاصة ، ووضع وثيقة التحرير دون استشارة وزرائه . ولكن



ابراهام لنكولن يلقي خطابـه الاحتفالي في غيتسبرغ ، ارض المعركة الحاسمة في الحرب الاهلية خلال شهر تموز ١٨٦٣ .

لقد قال: «هذا الشعب، بحراسة الله، سيشهد مولد حريته الجديدة، وهذه الحكومة، حكومة الشعب ، المنبثقة عن الشعب ، لخدمة الشعب ، لن تتلاشى من على الارض » .



دار الرئاسة

وشنطن - ٢١ نوفمبر ١٨٦٤

الى مسز بكسبي بوسطن ماس

سيدتي العزيزة

اطلعت في سجلات نظارة الحربية على بيان من رئيس اركان الحرب في ماساتشوستس بانك ام لخمسة ابناء استشهدوا استشهاداً مجيداً في الحرب ، وانني لاشعر بان اية كلمة اقولها تظل اعجز من ان تحاول مؤاساتك والتخفيف من حزنك في هذه الخسارة الفادحة ، ولكن لا سبيل للاحجام عن تقديم التعزية اليك التي قد تجدينها في شكر الجمهورية التي استشهد اولادك في سبيل انقاذها .

وانني لابتهل الى ابينا السماوي بان يخفف من لوعة المصيبة وان يترك لك فقط الذكرى العزيزة للاحباء الذين استشهدوا والفخر الذي من حقك ان تعتزي به انك التي قدمت مثل هذه التضحية الغالية على مذبح الحرية .

المخلص والمحترم لك جداً

ا . لنكولن

كان أبراهام لنكولن مثالياً في انسانيته وحنوه وعطفه ، ورسالته الى السيدة بكسبي هي قطعة من قلبه وروحه ، والصورة تمثله مع ولده « تاد » .

الوقت لم يكن مواتياً لاعلانها ، فقد مني جيش الشمال بهزيمة منكرة في منطقة جبل سيدار ، وخسر معركة « بول ران » الثانية ، وأصبح وجهاً لوجه مع قوات الجنرال لي التي عبرت نهر بوتومال وتغلغلت داخل اراضي ماريلاند .

وذات صباح دخل لنكولن على وزرائه وفاجأهم القول بانه عاهد نفسه والله اذا انتصر الجيش في المعركة القادمة ، فانه يعتبر هذا النصر من عند الله لصالح العبيد .

وفي السابع عشر من ايلول – سبتمبر – سجل جيش الشمال انتصارات كبيرة في موقعة انتيتام ، وفي غضون خمسة ايام اتخذ لنكولن الخطوات التمهيدية لاعلان وثيقة التحرير التي تحرر اربعة ملايين رقيق الى الابد ، اعتباراً من اول كانون الثاني – يناير – ١٨٦٣ .

وفي يوم رأس السنة وقع لنكولن مسودة الوثيقة في صيغتها النهائية وقال :

« اذا كان اسمي سيدون في التاريخ ، فانه من اجل هذا العمل الذي سكبت فيه كل روحي . »

ولكن الحرب لم تنته بعد ، والهزائم تلاحق الشماليين في فريديريكسبورغ وفي شانسيلورسفيل ، فهل يكتب لهم النصر في غيتيسبورغ وفيكسبورغ ؟؟ كان لنكولن يحتفظ بخريطة كبيرة للولايات المتحدة علقت على جدار مكتبه ، وعلى هذه الخريطة كان يتتبع حركات الجيوش وسير المعارك ، ويطالع في الليل والنهار الكتب العسكرية ويدرس فنون الحرب ويتباحث مع قواده في الامور الستراتيجية . فقد كان يتفطر اسى لحالة هؤلاء الرجال في ساحات القتال ، ويرثي لعائلاتهم القلقة المشتاقة لعودتهم الى بيوتهم ، ولذلك كان يريد تصفية الحرب باي ثمن . وبدا الهزال عليه ، وشحب لونه ، وغارت عيناه ، وتثاقلت نظراته ، وكان يقول لمن حوله :

« احس ان السرور لن يدخل قلبي بعد اليوم » . وصدف بعد ايام ان جاءه احد قواد الاتحاد لاستصدار امر باعدام عشرين جندياً فروا من الخدمة ، فالتفت اليه لنكولن قائلاً :

« ان في الولايات المتحدة اليوم العدد الكبير من المترملات الناحبات ، فناشدتك الله الا تطلب مني المزيد لانني لن افعل . »

وحمل خريف عام ١٨٦٣ النصر للقوات الشمالية في موقعة تشانوغا ، فتنبه الجنوبيون واحتاطوا للامر ، واعادوا تنظيم جيشهم . وفي مطلع الربيع رآى لنكولن الجنرال غرانت يشن هجومه على رتشموند ويتكبد خسائر جسيمة في ويلدرنيس وسبوتسلفانيا ، وكولد هاربر ، فوجه نداء الى سكان الاتحاد الشمالي لتزويده بعدد آخر من الرجال . . . وجاء الجواب من الشعب يقول :

« لبيك يا ابانا ابراهام . . نحن آتون ، ثلاثمائة الف من رجالك . . . الاشداء . » وبعد ذلك اعيد انتخاب لنكولن للرئاسة ، وفي اجتماع مجلس الكونغرس في كانون الثاني — يناير — ١٨٦٥ ، تحقق الحلم الذي طالما دغدغ جفنيه ، فقد اضيف الى دستور الولايات المتحدة تعديل ينص على تحريم الرقيق في جميع اراضي الولايات المتحدة .

وجاء في خطاب لنكولن التنصيبي للرئاسة الثانية الذي القاه في الرابع من آذار — مارس — ١٨٦٥ ما يلي :

« نرجو مخلصين ، ونضرع الى الله ملتمسين بان تزول عنا محنة الحرب ، وتفرج كربتها ، لننجز العمل الكبير الذي بدأناه ، ولنضمد جراحات الشعب ، ونلتفت الى رعاية شؤونه ، ونعتني بمن تحمل اعباء القتال وبارملته ويتيمه ، ولنعمل كل ما من شأنه تحقيق السلام العادل المقيم فيما بيننا ومع جميع الشعوب » .

ولاحت تباشير السلام في الافق ، ولكن الحرب لم تضع اوزارها الا في شهر نيسان — ابريل — ١٨٦٥ بعدما زحف شيرمان على ولاية جورجيا ، ودخل جيش الشمال مدينة ريتشموند في الثالث من نيسان ، واستسلم الجنرال لي للقائد غرانت في « ابوماتوكس كورت هاوس » .

وعندما وصلت انباء استسلام الجنرال لي الى البيت الابيض ، نادى لنكولن

وزراءه وركع الجميع بخشوع وصمت وعيون دامعة وابتهلوا الى الله شاكرين .

وغمرت البلاد موجة من الغبطة والابتهاج ، فقد طويت صفحة الحرب الطاحنة الطويلة بين الزرق والسمر – اي الشمال والجنوب – وانقذ الاتحاد ، وتحرر العبيد ، وتعالت الهتافات في كل مكان بتحية ابراهام لنكولن صديق الشعب العظيم ومحرر العنصر المضطهد .

وقصد لنكولن بعد ذلك الى ريتشموند ، عاصمة الاتحاد الجنوبي الجديدة ، وفي الطريق مرّ ببعض الزنوج كانوا يحفرون ارضاً قرب النهر ، فلمحه احدهم وانطلق نحوه يصيح فرحاً : شكراً لله فقد ارسل اخيراً مسيحه لتحرير ابنائه من العبودية ، المجد لله . ثم ارتمى على قدمي لنكولن يقبلهما . . . وتبعه رفاقه يحذون حذوه ، فصاح لنكولن : « لا تسجدوا لي بل اسجدوا لله واشكروه على تحريركم » .

ولم يكن لنكولن يضمر اية كراهية لابناء الجنوب ، فقد امتدح بسالة جنودهم وقوادهم في مناسبات مختلفة ، ووصف ستونويل جاكسون بالجندي الشجاع الشريف ، وقال في الجنرال لي وهو يتأمل رسمه : « انه محيا رجل باسل نبيل » .

لنكولن في ذمة التاريخ

ان لنكولن العظيم بقلبه وعقله ، عرف كيف يملك قلوب الشعب ، مما لم يستطعه الا القلائل من الرجال في تاريخ العالم . وقد قال مرة ان الله يحب عامة الناس ولولا ذلك لما خلق هذا العدد الكبير منهم » .

والمأثور عنه انه لم يخيب في حياته صديقاً ، ولا اضاع فرصة سنحت لعمل الخير لاي كان من الناس ، مهما كان هذا الخير ضئيلاً . وكانت الرحمة ، الرحمة التي ملأت نفسه وقلبه ، آخر عمل رسمي قام به لنكولن ، وهو العفو عن جندي حكم عليه بالموت بتهمة الفرار من الخدمة ، وقال وهو يوقع قرار العفو :

« اعتقد ان هذا الفتى سيكون اكثر نفعاً لنا فوق الارض منها تحت الثرى » .

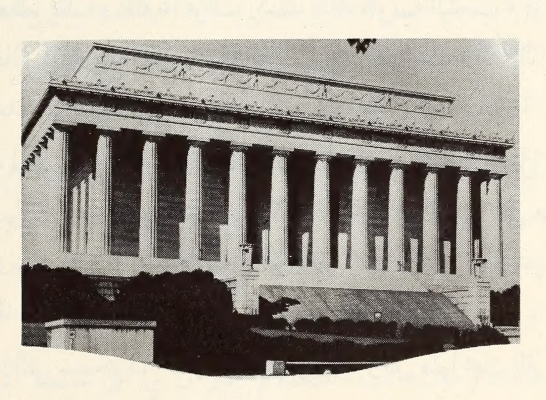
وفي مساء ذلك اليوم الذي وقع فيه قرار العفو ، في الرابع عشر من نيسان – ابريل – ١٨٦٥ ، ذهب لنكولن مع زوجته الى مسرح فورد لمشاهدة تمثيلية « ابن عمنا الاميركي » . وكانت الاعلام تزين مقصورة الرئيس ، وبشائر الفرح بانتهاء الحرب وبالسلام الموعود ، يهلل لها الناس كل في مكان . . وعند الساعة العاشرة والدقيقة العشرين وبينما كانت عيون المتفرجين متجهة كلها نحو المسرح ، دوى صوت طلق ناري من مسدس ، وهوى لنكولن من على كرسيه . وقفز القاتل الى خشبة المسرح ثم ما لبث ان سقط متعثراً وقضيبه في يده ، ولكنه استطاع الوصول الى الباب والهرب على ظهر جواد كان ينتظره في الخارج .

وصاحت زوجة لنكولن : لقد قُتل الرئيس ...

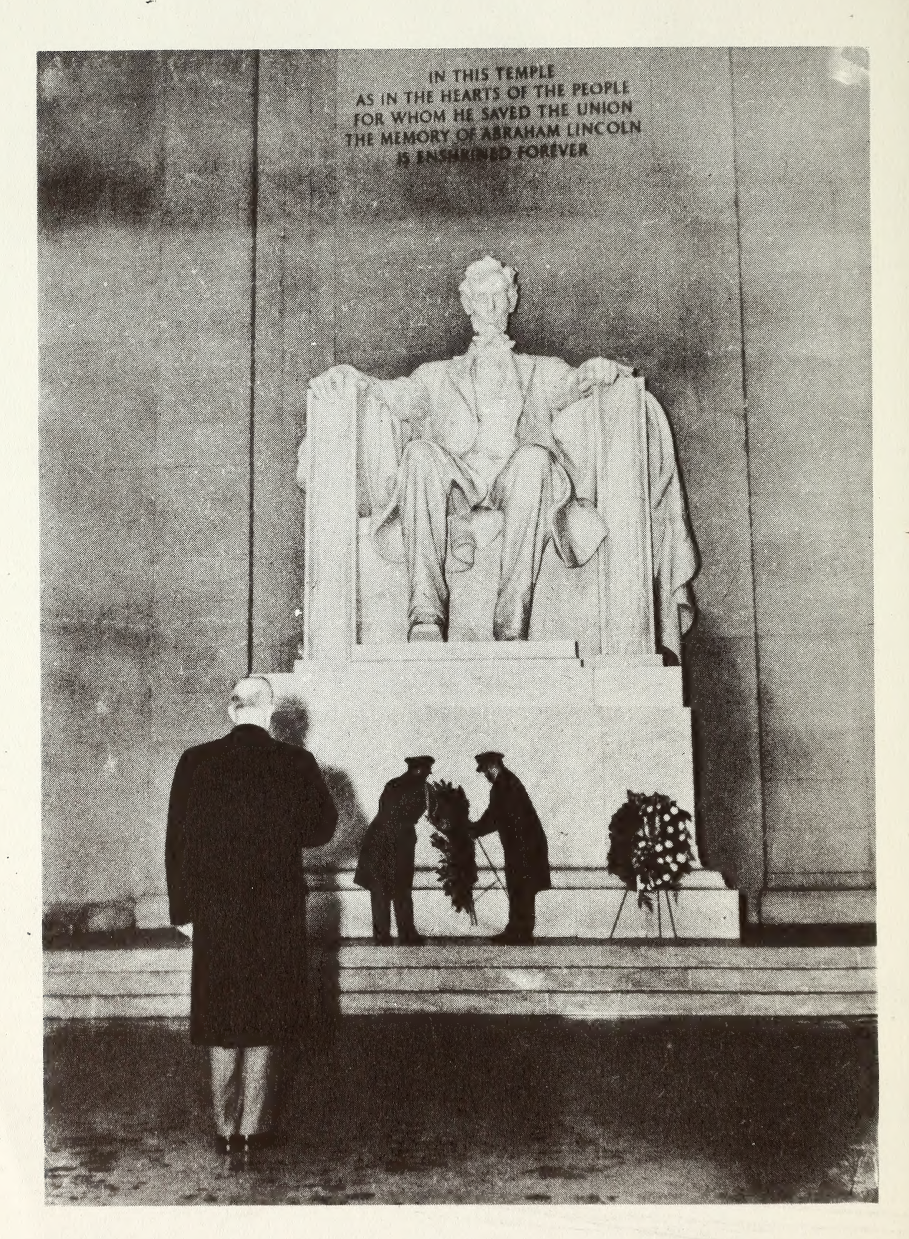
ونقل لنكولن الى بيت مجاور حيث قضى الليل في غيبوبة تامة ، ووشنطن كلها قلقة تصلي ضارعة من اجل شفائه وانقاذ حياته . . وفي الصباح مات لنكولن قبل ان يعود اليه وعيه .

وفي تلك اللحظة قال ستانتون ، صديق لنكولن الكبير ، للذين كانوا حول سريره في همس خافت :

« والآن ... اصبح لنكولن في ذمة التاريخ . »



النصب التذكاري لابراهام لنكولن في وشنطن ، العاصمة .



الرئيس ايزنهاور يقف باجلال امام نصب ابراهام لنكولن التذكاري الفخم في وشنطن ، العاصمة .


المعرفة
هي النور